السمّاح عبد الله

مديح العالية

الأعمال الشعرية - ٨

السمّاح عبد الله

مديح العالية

شعر

السمّاح عبد الله

إِشَارَةْ

* صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان في نوفمبر ٢٠٠٣ عن الهيئة العامة لقصور الثقافة..

إِهْدَاءَةْ

للعاليةِ ذات الأسفار التي لم يكذبها أحدٌ ولم تصدقني.

وكل المواعيدِ دالةٌ عليّ :

الخُطا والغبارُ والطريق .

بَدْءُ الْقَوْل

أستغفر الله إلا من محبتكم
فإنها حسناتي
يوم ألقاهُ .
فإن زعمتِ بأنّ الحبّ معصيةٌ
فالحبُّ أحسنُ ما يُعْصَى به اللهُ .

العباس بن الأحنف

اَلْوَقْتُ الْغَاوِي

مارس ١٩٨٥

وقتٌ يتزيّا بهواهُ
يتلصَّصُ
حتى يلقاهُ
يأتيه من خلف الحجراتِ
يفاجئه
بهداياهُ
يخطفه كيتيمٍ ضالٍّ
ويرشّ عليه عطاياهُ

ويشبّه ترتيلَ النّسّاكِ
وطهرَهمُ
بخطاياهُ
ويفَرّجه موعظةَ الدهرِ
وقولَ اللهِ
ليعصاهُ.

ضَرِيحْ

يناير ١٩٩٢

ماتت امرأةُ الفرحِ العصبيّْ
انزوتْ مرّةً في زوايا المقاهي
لكي تستحمَّ من السلطةِ العائليةِ
تمسك طبشورة
وتشخبطُ فوق الزجاجِ المغبش شيئا خفيّْ
جرّبَتِ أن تخون المواقيت
والشارعَ المتوتِرَ
والفندقَ الأعجمِيّْ

فاستعاضت عن الوجد
بالأرق المتوارثِ
رتَّبتِ البحرَ
كي يتسنى لها أن تعدّ أصابعها
وتعاين مطرحها
وهي تفرشُ وردَ الغناء العصيَّْ
شبّهت شعرها بالينابيعِ
وانتظرت عاشقا صادِيا
شبّهته بطفلٍ
يحاول أن يتسلقَ حتى حدود الينابيعِ
يغرفُ شربَتهُ
ليرطِّبَ بعضَ فؤادٍ ظميَّْ.

.....

إنه رجلٌ لا تدلّ عليه المقاهي

وليس يرد الطيور التي غلقتْ في ملابسه
تتلمسُ حصتها من حنينٍ ورِيٍّ
أو يُنَفِّضُ هذا الغبار الذي نثرَتْه القوافل
وهو يعاينها في كتاب أبي الفرجِ الأصفهانيّ
ترحل في البيد
ضاربةً
بين حيٍّ وحيْ
يعبر الشارع المتوترَ
يحمل جثةَ سيّدةٍ
خبّأتْ مرةً قُبلةً
منحنها له حين ضمهما المصعدُ الكهربيٌّ
يتمشى
ولا يتعجّل قاطِرةَ الليلِ
لكنه خائِفٌ

وعيٌّ
إنها تتذكر في موتها خجلا
يشبه الحلمَ
دسّتْه في معطف البردِ من سنتين
لبعض عشيقٍ جريحْ
تابعوهْ
أيّ دربٍ سيسلكه؟
أيّ شاهدةٍ ستُعَلّقُ
فوق الضريحْ؟.

تَرَقُّبْ

فبراير ١٩٩٠

في الليل كانت "أسترا" داكنةً
والقهوة المرة والدخانْ
لا يدلان على توتر الشاعر
وهو جالسٌ
حنينه يمشي على طاولة البارِ
الزجاجيِ
الذي يلتفُّ
كي يسابق الأوانْ

يرقب غيمةً
تمر
تعبر الميدان قصدا في اتجاهه
وتحط فوق رأسه
كأنه ظمآنْ
ما له سبتمبر الهاديء هذا اليوم
يشبه الشتاء
فيحوط جسمه بكفيه كأنه بردانْ؟
وما له يظن أن الغيمة التي تحوطه
ستبلل الجسدْ
والجسد النحيلُ جد مبتردْ
فلتتئدْ
يا أيها الليل الذي يخون سبتمبرَ
ويوزّع البرَدْ

فالشاعر الصعلوكُ لا يزال لصق حائطٍ
ولا يزال لا يشك مرة واحدة
في أن كل هذه الزوابع الشاتيةِ المرتبكةْ
محض وهمٍ وخداع عينٍ
ورؤى مشتبكةْ
والقهوة المرةُ والدخانْ
لا يدلان على توتر الشاعر بل على يقينه السبتمبريّ
وفؤاده الصديانْ
اتئدْ
يا أيها الليل الكذوب المرتعدْ
ثم وقتٌ آخر
سيحلُّ
بحلول الملكة.

خَلاصْ

يناير ١٩٩٣

غُنَّةٌ في غرامك
والليل مُهْلُ
وخطوُكَ مرتَهَنٌ بالرمالِ الكثيرةِ
والصهدُ خارطةُ المتسللِ للبيدِ في عينِه أملُ
فتمهل وخذ بيدي
أيها الشجَرِيُّ
أنا نَفَرٌ من دمائك
بعضُ حكاياكَ

ضوءٌ مقيمٌ لقولِكَ حين تقولُ
وظلُّ
أنا رجْعُ عينِكَ
حادثةٌ علقتْ في زوايا ذواكرِكَ
انتبهتْ جُثَّتي مرّةً لخُطَاكَ البهيةِ
لما خبطتَ على البابِ ذات ضحًى قرويٍّ
وكنتُ ظميئا
وليس بجرَّةِ بيتي شيءٌ يُبَلُّ
فقمتُ
وضوَّءتُ عينيَّ بالأخضرِ المتلألِيءِ في أثر الخُطُواتِ
وحوَّط روحيَ ظلٌّ وطَلُّ
وإنْ هيَ إلا مؤامرة البيدِ للإحتفاءِ بعطرِ روائحكَ
انبثق النبعُ
مُغْتَسَلٌ باردٌ

وشَرَابٌ
وآيته مهرجانٌ من الطيرِ يحفو
على أفقه
ويرفرفُ مفترحًا خارجَ الدوحِ
ثم يُطِلُّ
وكثيرٌ من الخلقِ يأتون
خذ بيدي
الوقتُ يأفلُ
خذ بيدي
الشَّجَرِيُّونَ غيرك محضُ غبارٍ كذوبٍ
ومحضُ مؤامرةٍ
خُشُبٌ تتسنَّد فوق اليبابِ
وأعينهم ملؤُها حسدٌ مستديمٌ
وبُخْلُ

أنا صرتُ أعرفهم من ملابسهم
مُذْ عرفتُكَ
منذ انجلى فرحٌ قُزَحِيٌّ يُحَوِّطُ
ما ترتديه من الأزرق التركوازيّ
خذ بيدي
الوقتُ يأفلُ.

أَوَّلُ أُكْتُوبَرْ

أكتوبر ١٩٩٤

مع سبق الإصرارِ ستترصَّدُ وجها
يشبه من غلَّقتِ الأبوابَ
وقالت:
هُيِّئتُ الليلةَ لروائحكَ المُرَّةْ
واسْتَبْعَدَتِ الحرسَ الساري حول البيت
وحول الأشجار النضرة
سوف تحوم كثيرا حول الصيدةِ
وتجرّبُ بعضا من قدرات الصيّادِ الماهرِ

وهو يتابع ظل فريسته المستترة
تعرف أنك حضرتَ الشبك المعقود
رشوتَ الحارسَ
أطفأتَ الدَّرَجَ العالي
زوَّقتَ الحجرةْ
واستدرجتَ ملائكةً في دخان التبغِ
وفي كأس الخمرةْ
لتُحَوِّمُ حول السقفِ المنقوشِ
ورتَّبتَ هواءً
يصلحُ لعشيقٍ صيَّادٍ
وعشيقٍ مصطادٍ
ولنارٍ مستعرَةْ
لكنك تعرف أنك لم تكُ هيَّأتَ الدمع الكافي
للذكرى

لما تترى
ذكرى امرأةٍ
غلَّقتِ الأبوابَ
وبَعَّدَتِ الحرسَ الساري حول البيتِ
ونثرت في أرجاء الدار
الأزهارَ المزدهرة.

.....

يحدث
في أول أكتوبر.

ثِمَارُ الْمُسْتَتِرَةْ

أغسطس ١٩٩٤

يا حطّاب الشجر الطالع
في الغاباتِ
ويا خطاف الطير الطيار على ورق
العتباتِ
ويا حرّاق الورق الناشف
في الطرقاتِ
ويا من يعبر للغد
وهو يجر بكفيه قُدّام الناس

تصاوير الأمسِ
خفّف من غلوائك
وتعال
أنا امرأة واحدةٌ
والليل كثيرُ
حين يمر البدو الرُّحَّلُ
قدام الدارةِ
وأنا في حبسي
أتعرى
وكأني
في ليلة عرسي
وكأني لا أخجل من كفَّيْ رجلٍ
أو من عينيه
ورمال حرائقه

فأصبُّ له كأسي
الليلُ كثيرٌ
فتعالَ
وشاركني
طرحةَ غرسي.

سِيرَةُ الْبَلِيلَةْ

يناير ١٩٩١

وكنتُ كلما خطوتُ في اتجاه البحرْ
وكلما ملأتُ راحتيَّ من هوائه
ومرّت فوق رأسيَ الطيورُ الصادحة
أقول:
بعد برهةٍ ستطلعُ البليلة
من مياه البحر
حلوةً
مجلوَّةً

وجامحة
بشعرها الذي يفرشُ سطحَ الماءِ كله
وناهديها
طافيَيْن مثل مركبين عارفَيْن سِكَّةَ السفرْ
وراحتيها
وهما تبعثران الموجَ في اليمينِ واليسارِ
كي تسبحَ في اتجاهِ ما أرسله تجاهها
من الحنين والمصارحة
وترشّ كائنات البحر بالفرحة
أنظر لله وأدعوه:
يا ربيَ الجميلَ هذي المانحة
وحيدةٌ في كل هذا البحرْ
أرسلْ طيورَكَ التي تعشق هذه المياهَ المالحة
لكي تضربَ فوق شعرها بالأجنحة

وتظل تنقلُ الأعشابَ من طريقها
وتغني
طيلةَ البحر لكي تؤنسَ رحلةَ البليلة.
.....
ألشجرُ الواقفُ فوق الشطّ يحرس الطريقْ
مرّ كعادة الأشجار
مخضرًّا
طليقْ
وامرأتان مرّتا بجانبي تقزقزانِ اللبّ
تُطْفِئان بالكلامِ لوعةَ الحريقْ
وكل بلدةٍ قد بعثتْ سفينةً
لبلدةٍ أخرى
والليلُ والنهارُ قُدّامي تعاقبا
عشرين مرّة

والطيرُ
والعشاق
والبيوت
والزهرُ الوريقْ
وأنا وحيدٌ واقفٌ
أقول:
بعد برهةٍ
ستطلع البليلة
من مياه البحرْ.

حَوَافُّ الْهَوَاءْ

أبريل ١٩٩٤

ألمرأةُ التي أتتْ إلى حجرته
في الليلِ
بعثرتْ ملاءةَ السريرْ
ومنحته وردةً في عروة القميص
واستدارت
نصفَ دورةٍ
كأنها تؤدي دورها في مشهد قصيرْ
ورسمته عاريًا

على زجاج النافذة
كان البخارُ أبيضَ
وكان جسمُها العاري
له روائحُ المدائنِ الدخانيةِ
في ملمسها الحرير
شدته من قميصه
كأنه يعودُ مرَّةً أخرى
إلى بدايةِ الخُطَا
يرمي الحصى على التمورْ
كأنه يشبه أشجارَ القرى
يطلع مبلولا ومخضرًّا
وزاهيا نضيرْ
ورفَعَتْه
حتى كاد يلمسُ الأشياءَ من حوافّها

كأنه يلقى ذويه فجأةً
ويملأ القلبَ اليتيمَ بارتجافة اللقاء
في الهجيرْ
كأنه يلمُّ وجدَهم في راحتيه
وهْوَ في عُلُوّه
كأنه ينثره
على دفء الذّرى
ليرش التربة العطشى
برزقه الوفيرْ
وسيَّجته بافتضاح عُريها
وشعرها الطويل المستطيرْ
وتركته ذاهلا
في قلق الذكرى.
.....

يبتديءُ الشفيفُ
قوله المُرَّا
ينظر للخلائقِ المعادة
كإلهٍ ساخطٍ على يديه
وهما تجربان الطين مرَّةً أخرى
يسيرُ هادئا
منكسرَا
يكره أن تبصره الأشياءُ هكذا
فيستعيضُ عن دموعه
بفرحة الصوفيّ
حين يمسي أعزلا
في وحشة الليلِ العريضِ
لا يردّ دمه لدمه
ويجتاح الثرى

ويقبض الهواءَ كله
في راحتيه
يشمّه
كأنْ به روائحُ المدائنِ الدخانية
كأنه يشبه أشجارَ القرى.

أُغْنِيَةْ

فبراير ١٩٨٢

سرق الجمال من الرشا
شَبَهُ الضيا
لمّا غشى
سرّاقُ خبَّأ حاجةً
وسَرَى إلَيَّ
وما مشى
متسللٌ في غفلةٍ
نقر الزجاجَ

وخربشا
وأتى إليَّ
وهسَّ في صمتِ السوادِ
ووشوشا
زمنا تصبَّر واكتوى
بنوى الهوى
وتوحّشا
متعشّقٌ
متشوّقٌ
سِرّا يخبئه فشى
بوّاحُ باح بعشقِه
أعطى هواهُ وما خشى
جوّادُ جاد بما لديه
بكل ما قد حوّشا

قال:

اصْطُفِيتَ من الأنامِ

سكنتَ رغما في الحشا

إني أمامك عاشقٌ تواقُ

فافعل ما تشَا

أنا شِئتُ أن أبقيه عندي كل عمري

وهْوَ شا

منه انتشيتُ

وكان فرحانًا

ومن فرحي انتشى.

عِمْ صَبَاحًا حَبِيبِي

سبتمبر ١٩٩١

قبل أن تدخل المتعبة
غرفة النوم
سوف تحدّقُ أكثر من مرّةٍ في المرايا
تعاين أحلامها الخربة
وسوف تضيفُ لأعوامها سنةً أو ثلاثا
لكي ما تصدق أن روائحه في يديها
يظل لها عبقٌ
تتعرَّى له في المساءِ

وليس رقيبٌ على ناهديها سوى اللهِ
هل تخجلُ المتعبة؟
تماما
كما يشتهي المتعبونَ
ستدركُ محلولةُ الشَّعرِ خائنةَ الضوءِ
بين الظلاماتِ
حين تضيف لنقصانه خجلا
يشبه الإكتمالَ
ليُحصيَ بعد خساراته
مكسبه
وتماما
كما يفعل المتعبون
ستنهض في الصبحِ
وهي تُخَبِّيءُ عُرْيَ الظلاماتِ

تخرجُ قبل طلوعِ النخيلِ الذي
يبتغي مأربه
وقبل افتضاحِ النهاراتِ
قابضةً في يديها روائحه الهاربة
وكما يفعل المتعبونْ
عندما يصبحُ الظلُّ ملتصقا
في مداراتِ صاحبِه الغائبة
عندما يصبحُ الوقتُ ليس خصيما
ولا يشبه العنكبوتَ
تمدُّ يدا
شِبه خائفةٍ
شِبه مضطربة
وتقولُ له:
عِمْ صباحًا حبيبي.

صَبَاحٌ طَازِجٌ لِصَبَاحْ

مايو ١٩٩٠

- لمن الوردة؟
- للسيّدةِ الوردة
- وسهامُ الحبّ المرتدة؟
- للمحتدّة
يتلصّصُ وردٌ في آنيةِ البهوِ على خطواتِ
المارّةِ
يختارُ المتعبَ لما يبتديء على جسر الأناتِ
نهاره

والمتعبُ
فِتنتُه أن يخطوَ
أو يلتصقَ ببحرٍ أو نافذةٍ
يتشوّف من خلل الشيش
ويرمي فوق المارةِ أزهارَه
يا آنيةَ البهوِ الوقتُ ضلالتُه
خيبةُ مسعاهُ
هواهُ المخطوفُ
جلالتُه
آيته لما يستقبل زوّارَه
ستمرُّ القاطرةُ إذنْ صاخبةً
في صمتِ غوايته
يصعد
ويجاور نافذةً

ويشدُّ إلى عُرْي أصابعه رعشةَ أن يحتدمَ
وحيدا
في آخر ساعاتِ الليلِ
يزوّقُ فرشتَه
ويُنَزِّلُ أستارَه
ويُخَطط لحكاياتٍ دافئةٍ
وجوى مُبتلّ
وهوى صادٍ
كي يرشوَ من يستجمعهم في دخانِ التبغِ
يُقَعِّدُهم في جلسته الليليةِ
يحكي قصته
ويُقَفِّلُ أزراره
يا وردَ الآنيةِ
المتعبُ

سيجرّبُ فتنته في أن يخطو
والدربُ وسيعٌ
في حجم جلالته
والوردُ المتفتح والنرجس يعلو أشجاره
يسَّاءلُ ويجيبُ:
- لمن سيشقشقُ بعد الوقت الفاتنِ
في الجسمِ الظمآنِ
صباحْ؟
- لصباحْ.

شِكَايَةْ

يوليو ١٩٨٩

انثر هواءك حولي
أيها الرشأ
ورش عطرك جسمي كله ظمأ
ألنار فيّ إذا بعدت خطاك
وإن قربت تزداد
قل لي:
كيف تنطفيء؟
هذي الزرابيُّ قد هيأت فرشتها

في بسطة الدار تستلقي
وتتكيء
وتلك جرة أحوالي مفرّغة
في الركن مهملة
تشتاق تمتليء
عبأتُ من خلل الأحلام قصتنا
مكذوبة فاتستمعها يصدق النبأ
وسقت أيام عمري في يديك
لكي
تختار منها الذي ترضى
وتجتزيء
وحصتي فيك ناقصة مطاعمها
والقلب من جوعه قد رشه الصدأ
وقطعة الوقت طوّاف بها أبدا

رجفّ يبين ويطفو ثم يختبيء
وصرت أمشي على قلق
فأقدامي
خُشُبٌ مُسَنّدةٌ
خطواتها خطأ
يا من يجرب أوجاعي ببسمته
ويستطيب جراحي
وهي تنكفيء
ألملح والجرح يشتجران في جسدي
من ألف عام
وجرحي ليس يبتريء
مازال يقطر في خطوي
وتبصره
لكنْ عيونك بالمقتول ما عبأوا

وما تذكرت أن القتل معصية
عاداتك القتل
ذو حَسَك ومجتريء
إليك شكواي منك
وأنت ذو غرض
ولست عدلا
ولكنْ أين ألتجيء؟.

صُورَةٌ لِحَامِلِ الْهَوَى

مايو ١٩٨٦

ما له دائخُ
مثل طير رقيق الجناح
يُخَبِّطُ في جنبات الهواء
ويبحث عن مخرجٍ كي يغني
وهُو صوته صارخُ
ولا أحد يستطيع سماع أغانيه
ما له تستبيه البليلةُ في مهرجانِ
صباحاتها

وتغربله في كلامٍ صغيرٍ
على قدّ ضحكتها
وتشيرُ له في اتجاهِ عذابٍ
يبعثرُ أيامَه بامتدادِ الفدادينِ
مثل وريقةِ شجْرٍ
تَخَطَّفُها هبّةُ الريحِ
أو خرَّمتها المناقيرُ
أو هشم المطرُ الراعدُ
دفءَ خضرتها
ما له شائخُ
قبل ميعاده
وهو لمَّا يزلْ يتعلّمُ خطوَ العشيقِينَ
في دَرَجٍ صاعدٍ
كعمودٍ من النارِ

لا يتحرّقُ
أو يتيبّسُ
لكنه صاعدُ
يتها المشمشات على خدّ محبوبتي
رسم البدرُ أحلى تصاويرِهِ في حوائطِ بيتي
ومقتولةٌ
خطوتي.

حَالٌ مِنَ الْعِشقْ

أبريل ١٩٨٨

بادٍ هواك أردتَ أم لم ترِدِ
بين الأنام
كرعشة المبترد
تمشي كأن الطير تنقر في دماك
تهشها بالعين
والفم
واليد
يرتاب فيك العابرون

كأنَّ مسا من شياطين اعتراك
ليفتدي
من كان عشّاقا
فعفَّ
ولم يبح بهواه بين الناس
لم يتجردِ
ماذا عليك لو انك ابتردت شفاهك باللظى
أو لم تجىءْ في الموعد؟
أوَ كان يمكن أن تؤجل ما احترقت به
فصادك حاسدوك
إلى الغد؟
يا من يدس الشوك في كفيه
وهو يظن أن ضما أريج الورد
ويسير مختالا

ولا يدري بأنْ هو جالسٌ
متسمرٌ كالمُقْعَدِ
ويقول:
"يا الله بابك واسع"
في حانة السُّمار لا في المسجدِ
سامحه يا رب البرايا
والصبايا
والنوايا
فهو ليس بملحد
هو عاشق صب
وآية عشقه
بين الشتا متدثر بالبَرَدِ.

ظَمَأْ

مايو ١٩٩١

لا أنا أنا
ولا حكايتي بلادٌ ضيَّعتني
في المدى
سدى
أجرّ خطوي في المسا
كأنني
أهربُ مني
أو كأني

أختبي من جسدي
في جسدي
شبّهيني في حدودِ حالتي
ليس يشبه الغريقَ هذي البيدُ والكلأْ
ليس يشبه الغريقَ
غيرُ الكفنِ
وحُرْقَةُ الفراقْ
وامنحيني وقتيَ الباقي
وردي في دمي حال الظمأ
إنني ضيَّعتُ عمري
باحثا عن شجرٍ يكبر في الصيف الذي يسكنني
امنحيني هدأةً واحدةً
لا تريح وحشةَ الغريبِ دارٌ وبلادٌ
لا تريحُ وحشةَ الغريبِ غير لحظة العناقْ

متعبٌ أنا
وأنتِ لا يعنيكِ هذا الكلأُ المقطوفُ
لا يعنيك هذا البلل المخطوفُ
لا يعنيكِ أن البحرَ محشوٌ برملِ الغيمِ
لا يعنيكِ أن الحفوَ مرتبكٌ ومخنوق الخُطا
بين القطا والماء
إنني وحدي الذي جرَّبتُ أن أظلَّ ظامئَا
يخونُني السرابُ مرَّةً
ومرَّةً
وأظلُّ ظامئَا
بين دمٍ ضالٍّ وشِبْه بلّْ
أقايض الذي قد كُنْتَه ببعضِ ربِّه القديمِ
وأسبُّ هذه البلادَ
هذه البلادُ ضيَّعتني في المدى سُدَى.

فِي اتِّجَاهِ كُلِّ هَذَا الْمَوتْ

ديسمبر ١٩٩٣

ألمرأةُ التي تشبه أحوال ِالفلكْ
ألمرأةُ التي أتتْ وقالت: هيت لكْ
فاشتهيتَ أن تكونَ أعمى
كي تتحسَّسَ الكلامَ من منبعه الظاميءِ
أو تخترقَ الرؤيةَ باللمسِ
وتأتي منهلَكْ
ألمرأةُ التي تزدادُ دقاتُ الكنيسةِ دقةً
إنْ عبرتْ قُدَّامها

كأنما طيف ملاكٍ قد سلَكْ
ألمرأةُ التي تعطي النهارَ بهجةً أخرى
وتمنحُ المساءَ حُلّةَ الملكْ
ألمرأةُ التي يظلُّ الجبلُ الشرقيُّ والغربيُّ
كلّ ليلةٍ
يدقّانِ على الأرضِ
ليسنداها
حينما تمرُّ في جلالِ خطوها الباهي
يقولان:
ألا يا أيها الذي يمر
رفقا
هذه الأرض خفيفةٌ
فارفق بمن قد حملَكْ
ألمرأةُ التي تصحو طيورُ الشجرِ المعقوفِ

إنْ تنفستْ
وإن نامتْ أتتْ تحرسها
حتى يلمّ الملكُ الموكلُ بالحلمِ عطاياهُ
ألمرأةُ التي تجمعُ للعيدِ
هداياهُ
ألمرأةُ التي أتاها ذات يومٍ رجلٌ
في هيأةِ الأحياءِ والموتى
وقال:
الوقتُ وقتُكِ
والمساءُ - مليكِ المختارُ – منتظرٌ لتأتيهِ
لتأتي في أعاليهِ
وهذا مهرجانُكِ كاملٌ
من دقةِ الأجراسِ
حتى خفقةِ الطيرِ الذي يحرسُ

هيا

فاصعدي بي

وصِلي من وصلَكْ

هذه المرأةُ مُذْ صَعَّدها الرجلُ الذي

في هيأةِ الأحياءِ والموتى

ومُذْ لمّتْ طباشيرَ التلاميذِ من الفصلِ

وضمّته إلى فستانها الأزرقِ

وانساقت منومةً

إلى ألقِ المزارْ

والأعمى الذي يبصرُ يأتي كلّ يومٍ

دَرَجَ الشمسِ

فلا يقدرُ أن يصعدَ إلا قدرَ ما يبصره باللمسِ

أو يحياهُ بالذكرى

فيهبط مرّةً أخرى

ويلتقطُ الحصى
ويصوّبُ الأجرامَ في زرقتها
حتى تدوخَ الأرضُ
أو تُفْتَتَنَ الأمطارْ
أيها الأعمى
إذا عدتَ إلى الدارِ
فبَطِّيءْ خطوكَ العاري قليلا
إن هذا المطر النازل قد جاءكَ
حتى بلّلكْ
أيها الأعمى
نهارٌ مثل هذا
ليس لَكْ.

خَدشْ

يونيو ١٩٩٤

عامانِ للقلبِ اليتيم
لكي يعاين هذه الأسماءْ
بعدهما
يخون الوقتُ صُدفتَه
ويبتديءُ الهواءُ صفيرَهُ
ويُعبِّق الأرجاءْ
قد تكبر السيدةُ الصغرى
وتعطيها ملامحُها سماتِ المتعبين

ونكهة الغرماءْ
أكونُ أنا هنا
ويكونُ هذا الدربُ مأخوذا إلى نفقٍ
يضيقُ بلا سماء
وخوالجي أرَقٌ
وبعضُ حوائجي بَرَدٌ
يصيدُ خُطايَ من خلل الطريقِ
إلى الخلاء
وثَمّ نبوءةٌ تجتاحُ عُرْىَ القلبِ
تخدشُ ما تبقى من غبارِ الأربعاء
يحدثُ – ربما - أنْ يأتيَ العشّاقُ
يختصمونَ في أحوالهم
ويقول واحدُهم:
أنا نبتُ السؤالِ المستريبِ

تقولُ عاشقةٌ:
هو الخدشُ القديمُ يدلّني لنبوءةٍ زرقاء
فانفضْ إذنْ يا أيها القلبُ اليتيمُ
غبارَ ما اعتركتْهُ أقدامُ العشِيقِينَ الحيارى
وابتديءْ شجْوًا يليقُ بحزنكَ
العالي
وسيّجْ ما استطعتَ تصيدُه
في عنكبوتِ الأربعاء.

يَمْشِي فَتَتْبَعُهُ الْبَرَايَا

يوليو ١٩٨٣

ثوبُه يمشي الهوينى
لا يداري قدّهُ
ملكٌ
سبحانَ من رصّع زهرًا خدَّهُ
ما له يختالُ في الخطوِ
ويلقي ورده
كلما لاقاه صَبٌّ في الرعايا صدّه
يشغل الشرفاتِ في الدورِ

ويمشي
وحده
يشعل النوارَ في الزرعِ
ويصلبُ عوده
يمشي فتتبعه البرايا
تتمنّى وده
كرسولٍ قال أخبارًا
ستأتي بعده.

رَائِيَةٌ مِنْ بَارِيسْ

فبراير ١٩٩٣

عطرُ باريسَ يأتي مع المغربيةِ
لا يُشبه الأقحوانَ النديَّ
ولكنه في المسَا هاطلٌ كالمطرْ
يتقطَّرُ في راحتيْ رجلٍ غادر الأربعين
وخط المشيب بفوديْه هذا السفرْ
فتساءل:
أي جوىً
يتسلّق في آخر الليلِ!

يا أيها الليلُ
خفف خطاكَ على القلبِ
فهو عيٌّ
ومزدحمٌ بكبار الحوادثِ
حجراته ازدحمت بالمواويل
مقتولةً
والحكاياتِ
منقوصةً
واختلاف الصورْ
قال:
لابد أن يرجعَ العمرُ بضعَ سنين
ولابد أن تكبرَ امرأةٌ في شواطيء باريسَ
يحنو على إسمها الميمُ
والياءُ

والدالُ
وهي تُخَبّيءُ ما يُشبه الفرْحَ
والخجلَ الفوضويّ
وما يُشبه الوجدَ في ثنيَاتِ بلوزتها
حين تعبر هذا النهَرْ
وتخبّر من يعبرون المسافة ما بين مصر وباريس
أن مياها من النيلِ
عطشانة
لمياه من السين
ذات ندىً مستترْ
وتحمّلهم نبأ عاجلا
ينقلون تفاصيله
لسليل العشيقِين
أن سماءً مرصعة بكثير من الميمِ

والياء
والدال
سوف تُهَطّل ذات نهارٍ
على راحتيْ رجل غادر الأربعين
وشبّه بعض النساء
ببعض الشجر.

دَوَارُ الْبَلِيلَةْ

نوفمبر ١٩٩٠

ما الذي قالت امرأةُ البحرِ للبحرِ
بعد مرورِ الهواءِ الأخيرِ
على حافة اليابسة؟
قالت امرأةُ البحرِ للبحرِ:
بعضُ دمي خائفٌ
ويداي على آخرِ الموجِ مفتوحتانِ
وشَعري بَلِيلٌ
ولكنني لم أزل جالسة

فلمن أتهجّى؟
وكل الرجالِ خُطًا تتصعَّدُ في الرملِ
والرملُ ليس بعيدًا عن الماءِ
والماءُ بلل شعري
وكل أصابع كفي في الرمل منغرسة
ما الذي قاله البحرُ
لامرأةِ البحرِ بعد مرور الرجالِ الأخيرين في الرملِ
بعد ذهاب طيور الفضا الحارسة؟
قال:
اقبضي قبضتين من الماءِ
رشّي على مهرجان مسامك واحدةً
وانثري في طريق الرجال على الرملِ واحدةً
وابدئي في قياس المسافةِ
بين الهواء الأخير

وبين الرجال الأخيرين
واحتطبي في المسافة طيلة ليلٍ بكامله
وصباحٍ بكامله
وارجعي ليَ
قبل اكتمال نجوم السما الناعسة
وقبل رجوع الهواء الذي سيجيء غدا
أغرقي نصفَ عُرْيِكِ في خطأ الموجِ
حين يرومُ
وحين ترومين
ضحّي بما يتبقّى من البلل المتطاير
حوْلَيْكِ
حتى يحين اكتمالي
وحتى يحين اكتمال جمالي
وحتى يحين جمال زوالي

وحين ترين الرمالْ
شجرًا
والرجالْ
قلقا خشبيا له خطوةٌ تستدين
من العطشِ المرّ
حين ترين الهواء مؤامرةً
في اتجاه المياه التي تتصاعدُ
في دَرَجِي
وتُزَيّن هذي السماواتِ
لما تهلُّ الأماسيُّ راعشةً
هامسة
حين يكتمل البدر
لا تبدئي أحدا بالكلامِ
ولا بالنشيجْ

ربّتي في انتظاركِ
خوفَ دماكِ
وربّي أساكِ
إلى أن يصيرَ على قدّ دوّامةٍ
من دواري
وبعضِ انتظاري.

زِيُّ الْعَاشِقْ

نوفمبر ١٩٨٤

ما الذي يفعله العاشق لما
يبلغ العشرين عامْ؟
يتها الأرض اهدئي
ثم غلامْ
خائف من وردة الروح
ومن عسل الغرام
يوقظ الذكرى برمتها
ويمنحها السلام

يصطفي رجلا بكامله
من الحرب الحرامْ
ويعريه تماما من رصاص القصف
ويهش الرمل عن أكتافه
وينقي جرحه
من آفة الذنب
ليبتديء الخصام
واحدا مكتمل الصهد
خريفي الخُطا
حلو الكلام
ضالعا في حزنه الأبدي
لا يلوي على شيء
وليس يرد من قدامه أحدا
ويعرف دربه

وكأنه
جرب أن يمشي به
في
هيأة الغشرين عام.

لا تخن فيما تقول

مارس ١٩٩٠

ما لنا نخطف الكلام
ونجري
من شفاه لا تكمل الكلمات
نكتري من عيون من نتغنى في هواه الوصالَ
وهو عجولُ
إننا كلنا جوٍ
والليالي طويلةٌ
تستبي المُعَنّى

وتسبي مقلتيه
والنوم فيها بخيلُ
أنت مستعجل
ولست تعاني ما نعاني من الجوى
فتمهل
وكن رفيقا بنا
فنحن حيارى
شفنا الوجد حتى بدونا
من اللظى محض جسم عليل
مثل ظل تلقفته الشموس
أيهذا الرقيب
راقب سوانا
وكفانا من الأذى
ما أتانا

بالذي أنشأ الحياة
وسوّى
بيديه من السعيرِ القلوبَ
اقتطع من جسومنا بعض دمع
رشه في عيونه
يا رسولُ.

شَجَرُ الْحَوَافّْ

مارس ١٩٩٢

ألشجرُ الذي خبرتَه على الحواف
وانتظرتْ خرائبُ القلبِ الشفيفِ عامين
لكي يكون وارف الأعطاف
ها أنت ذا يا أيها الخائبُ والبَلِيلُ
يا مشتَّتَ الأطرافْ
مازلتَ حتى بعد أن خبرتَه
مازلت حتى بعد أن أدركتَ أن عامين
تسرّبا من راحتيك

سهوًا
وحرامًا
بين رشفة اللظى وظمأ العفافْ
مازلت تعبر الطريقَ كل يومٍ
في الرواحِ والغُدُوّ
خائبَ القلبِ
بليلَ العينِ
رائعا
كأن نفرا من الصحاب والعدُوّ
يحوّطون خطوك العاري الخفيفْ
وهو حائرٌ ما بين صخرةِ الصفا
وصخرة المروةِ
يدمن الطوافْ
ألصحابُ يزرعون الحَسَكَ المسمومَ في سِكّتك

العرجاءِ
والعدوّ يصطادون طيرا أسود الأطرافْ
ينعق مثل البوم
يطلقونه في وجهك الشفيفْ
تضحك آنةً
وآنةً تُنَفّضُ الغبارَ عن قماشةِ الأكتافْ
تبحث في الذاكرةِ النسّاية
عن امرأة
من سنتين جاءتك على مجاري الماءِ
تخطو ظامئة
عيونها حريقة محروقة
وخداها حديقتا قرنفلٍ
ونهداها كجرسين يوقظان حفنة الطيور
في حديقةٍ وريفةٍ

وفي حديقةٍ خربانةٍ
فتملأ السماء بالأغاني الصابئة
سُرّتُها كأسٌ من الخمرِ
وساقاها عمودا مرمرِ
يبتدئان الكون بالنور الفجائيّ
فسبحان الذي قد ضوَّأه
جاءتك على مجاري الماء
نقّرتْ في قطعة الوقتِ
وفسحة المكانْ
استرقتْ من أغنياتك الجميلة
صوتَ أسلافك في حروبهم
وقصص الجدّاتِ في الأماسي
وطباشير التلاميذ
وعبّأت جيوبها بقصصٍ ذبيحة الخواتيمِ

وسافرت في خيبةِ الأوانْ
ولم تترك سوى حَسَك المماشي
وطيور الفقد ناعقةً
على الحيطانْ
ها أنت ذا تخطو
كأن رجلا سواك غير خائب القلبِ
يعاقر المداما
مصوّبًا عينيك في اتجاه شجر الحواف
وتمني قلبك الشفيفَ أن يظل في انتظاره
عاما
فعاما.

خَاتِمَةُ الْقَولْ

أللّيلُ أنثى في انتظاري
هذه مدينةٌ عطشى إلى الحُبّ
أشم عطرها كأنه مواء قطةٍ
أرى رقدتها في اللؤلؤ المنثور في حدائق الديجور
آهٍ كيف صار كل هذا الحُسن مهجورا ومُلقى في
الطريق العامّ يستبيحه الشرطيُّ والزاني.

أحمد عبدالمعطي حجازي

مؤلفات السمّاح عبد الله

أولا : دواوين شعرية

٠١ - شتاءة للعاشق الوحيد

٠٢ - سقيفة الفقراء

٠٣ - حصيرة البارحة

٠٤ - خديجة بنت الضحى الوسيع

٠٥ - مكابدات سيد المتعبين

٠٦ - الواحدون

٠٧ - أحوال الحاكي

٠٨ - مديح العالية

٠٩ - خلاخيل العابرة
١٠ - الرجل بالغليون فى مشهده الأخير
١١ - ثلاثاءات عابر سبيل
١٢ – متى يأتي الجيش العربي ؟!
١٣ – قبو الثلاثين
١٤ – تصاوير ليلة الظمأ
١٥ – طرف من أخبار الحاكي
١٦ - نثر الدر

ثانيا : المسرح الشعري
أغنية إلى النهار

ثالثا : المختارات الشعرية
عن الأشياء نفسها

رابعا: مختارات من الشعر العربي

١ - مختارات من شعر محمود سامي البارودي

٢ - مختارات من شعر أمل دنقل

٣ – مراثي الإمام محمد عبده

خامسا: إعداد وتقديم

١ – ديوان ولي الدين يكن

٢ – ديوان إسماعيل صبري

سادسا : شعر الأطفال

١ - شجرة الأسبوع

٢ – خير الأمور الوسط

٣ – الأغاني الصغيرة

٤ - أغنية الشجرة

٥ – بستان الشهور

٦ – قط في المرآة

سابعا: فصول من السيرة الذاتية
الرحل ذو الجلباب الأزرق الباهت

ثامنا: كتب مجمعة:
عطلة الشجرات، مجلد يضم ثمانية دواوين، هي: نثر الدر، طرف من أخبار الحاكي، تصاوير ليلة الظمأ، قبو الثلاثين، متى يأتي الجيش العربي؟، ثلاثاءات عابر سبيل، الرجل بالغليون في مشهده الأخير، خلاخيل العابرة.

تاسعا : كتب عن الشاعر
١ - وجوه بين صوابعي مقاربة شعرية لديوان الواحدون أسرار الجراح دار التلاقي للكتاب ٢٠١٠

٢ – الزمن ودلالاته في شعر السماح عبد الله دراسة نقدية د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٣ – قراءة الثورة بأثر رجعي دراسة في قصائد خديجة للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٤ – تجليات الزمن في ديوان "مديح العالية" للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

عاشرا: بيانات:

مدير بيت الشعر المصري، مركز إبداع الست وسيلة.

هاتف شخصي: ٠١٠٠٧٥٥٨١١٧.

بريد إلكتروني: alsammah63@yahoo.com

عن الشاعر

إشارة ٠٠٦

إهداءة ٠٠٧

بدء القول ٠٠٩

اَلْوَقْتُ الْغَاوِي ٠١١

ضَرِيحْ ٠١٣

تَرَقُّبْ ٠١٧

خَلاصْ ٠٢١

٠٢٥ أَوَّلُ أُكْتُوبَرْ

٠٢٩ ثِمَارُ الْمُسْتَتِرَةْ

٠٣٣ سِيرَةُ الْبَلِيلَةْ

٠٣٧ حَوَافُّ الْهَوَاءْ

٠٤٣ أُغْنِيَةْ

٠٤٧ عِمْ صَبَاحًا حَبِيبِي

٠٥١ صَبَاحٌ طَازِجٌ لِصَبَاحْ

٠٥٥ شِكَايَةْ

٠٥٩ صُورَةٌ لِحَامِلِ الْهَوَى

٠٦٣ حَالٌ مِنَ الْعِشقْ

٠٦٧ ظَمَأْ

٠٧١ فِي اتِّجَاهِ كُلِّ هَذَا الْمَوتْ

٠٧٧ خَدشْ

٠٨١ يَمْشِي فَتَتْبَعُهُ الْبَرَايَا

رَائِيَةٌ مِنْ بَارِيسْ ٠٨٣
دَوَارُ الْبَلِيلَةْ ٠٨٧
زِيُّ الْعَاشِقْ ٠٩٣
لا تخن فيما تقول ٠٩٧
شَجَرُ الْحَوَافّْ ١٠١

خاتمة القول ١٠٧
مؤلفات السمّاح عبد الله ١٠٩